



تداولية الفعل الكلامي في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني Deliberation of the verbal act in the lectures of the literati by Ragheb Isfa

سعد بولنوار

جامعة الجلفة

تاريخ القبول : 2026/02/10

تاريخ الاستلام: 2026/01/18

Abstract :

*This is an applied pragmatic linguistic approach to the discourse found in Al-Raghib Al-Isfahani's *Lectures of the Learned*. It is also an attempt to identify the forms of the spoken word and its performative power according to the different contexts present in this discourse.*

This is achieved by observing the aims and intentions behind each speech act. It is appropriate to first examine the speech act at its theoretical level, followed by its practical application.

Keywords: Pragmatics; Speech Act; Lectures of the Learned; Al-Raghib Al-Isfahani

ملخص:

تعمل هذه الدراسة على مقارنة لسانية تداولية تطبيقية على مستوى الخطاب الموجود في كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، وهي محاولة كذلك لإيجاد صيغ المنجز الكلامي وقوته الإنجازية بحسب السياقات المختلفة الموجودة في هذا الخطاب.

وذلك برصد المرامي والمقاصد من وراء كل ما يخرج به الفعل الكلامي، ولا بأس في أن ننظر إلى الفعل الكلامي أولاً في مستواه النظري، ونتبع ذلك بالجانب الإجرائي.

الكلمات المفتاحية :

تداولية ; الفعل ; الكلامي ; محاضرات الأدباء ;

الراغب الأصفهاني

"تشاط القائل على قدر فهم السامع. وقيل: من

سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهماً

(الراغب الأصفهاني)

هذه مقارنة لسانية تداولية تطبيقية على مستوى الخطاب الموجود في كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، وهي محاولة كذلك لإيجاد صيغ المنجز الكلامي وقوته الإنجازية بحسب السياقات المختلفة الموجودة في هذا الخطاب، وذلك برصد المرامي والمقاصد من وراء كل ما يخرج به الفعل الكلامي، ولا بأس في أن ننظر إلى الفعل الكلامي أولاً في مستواه النظري، ونتبع ذلك بالجانب الإجرائي.

فالأفعال الكلامية، بوصفها في منزلة الآليات إجرائية، هي المنجز الذي يتحقق بواسطة الكلام، و هي بهذا المعنى تتقصى تحديد ما هو مقصود بالضبط من سياق التداول الخطابي في سياق معين، و هدفها ليس تأطير المعنى فحسب و لكن ما يذهب به ذلك المعنى إلى أبعاد أخرى من مقاصد مضمرة في طيات و ثنايا سياقات الحال، والأفعال الكلامية "التي يطلق عليها أوستين الأفعال الإنجازية التي تستعمل لإنجاز الفعل مثل أفعال: التسميّة، والاعتذار، والترحيب، والنصح، والتهديد التي يحصل فهمها بمجرد التلفّظ بالمقولة، ولا يحتاج إلى عملية إدراك لمعاني الألفاظ أو حتى مقاصد المتكلم الانعكاسية، بل يشترط لنجاح هذه الأفعال شروط الموفقية في المؤسسة الاجتماعية أو التشريعية، التي تكمن وراء هذه الأفعال ويوضّح مدور شروط نجاح هذه الأفعال الموفقية بقوله: إنّ هذه الأفعال لا توصف بصدق أو كذب، بل تكون موفّقة أو خائبة، إذا راعى المتكلم شروط أدائها، وكان أهلاً لفعلها"¹، فالتداولية -و الأفعال الكلامية جزء منها- على عمومها و بشبكته المفاهيمية و باعتبارها إستراتيجية مهمة لتحليل الخطاب تدرس المقام التواصلية الذي أحدثه المتكلمون بواسطة اللغة، و من مهامها تبيان دور البنية اللغوية الحقيقي الذي هو من إنشاءات المتكلم و السامع معاً، فلا يتوقع أن ينطلق الكلام دون مثلق ذي فهم مناسب لمحتويات

1 مهي فهد أبو حمزة- فاعلية برنامج مقترح لتنمية مهارتي الحوار في اللغة العربية لدى غير الناطقين بها، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق سوريا، 2015، ص: 39.

الخطاب، و العكس صحيح. و المعاني و إن بدت في صورتها الأولى مكتملة الدلالة فهي تشي بالكثير من المقاصد، حسب المحددات التي يفرضها الفهم من جهة، و نوايا المتكلم مما يقول من جهة أخرى.

ذلك أن ج. أوستين في كتابه (how to do things with words) و المترجم إلى الفرنسية quand dire c'est faire (عندما يكون القول هو الفعل) ومن خلال نظريته في الأفعال الكلامية إنما حاول "توضيح جانب من جوانب العملية التواصلية، فاللغة من هذا المنظور لا تصف الوقائع فقط و إنما يمكنها أن تفعل أيضاً، و الفعل المنوط باللغة على هذا الأساس متعدد متنوع لذلك حاول صاحب النظرية (ج.أوستين) الانطلاق من هذا التمييز بين الأفعال التي تتولد عنها أفعال اجتماعية و الأفعال التي تصف الواقع، و قد اصطلح على تسمية النوع الأول بالأقوال الإنجازية (Performative) و تسمية الثاني بالأقوال الوصفية (Constative)².

فالقوى الإنجازية للألفاظ المتحققة خطابياً، بما تحمله من خصائص أهمها علاقتها بإرادة المعنى الذي قصده المتكلم و باعتبارها المحتوى القضوي الحقيقي الذي يؤثر في مجريات الدورة الخطابية، فهي الجانب المهم من أقسام الفعل الكلامي بوصفها إجراء يهدف إلى بيان طرق توجيه الدلالة في الخطاب عموماً.

و الذي يحدد تغايرات القوى الإنجازية من حال إلى حال آخر هو اتجاهات المطابقة، حيث تكمن "أهميتها في موضعين ، على الأقل ، من نظرية سيرل ، الموضع الأول : في تحديد عدد الأغراض المتضمنة في القول ... الموضع الثاني : تقسيم القوى المتضمنة في القول على أساس

² محمود طلحة- منوال الأصوليين في تحليل الخطاب، منشورات مخبر اللسانيات التداولية و تحليل الخطاب، ط1، الأغواط،

2013، ص: 86 و 87.

صارم³، و"قد رأى أن دراسة الجملة تكون بالنظر إلى إنتاج الفعل الكلامي ضمن مقام معين وبذلك يكون الفعل الكلامي عند سورل متكون من:

-قوة مقصودة بالقول *force illocutoire* .

-مضمون قضوي إحالي وبذلك تكون الجملة مشتملة على محددات للقوة المقصودة بالقول وغالبا ما يتم تحديد هذه القوة بالاستعانة بالمقام⁴.

و"من النحاة والبلاغيين الذين إهتموا بدراسة هذه الظاهرة الأسلوبية إهتماما كبيرا سيوييه ..(ت180هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) وأبو يعقوب السكاكي (ت626هـ) و إهتم كل من النحاة والبلاغيين بدراسة الخبر والإنشاء وحاولوا التمييز بينها مع تقديم شروح وافية وكافية للظاهرتين⁵، وقد كان في البلاغة العربية ما يضاهي هذا الجانب إجرائيا، بغض النظر عن الخلفيات المعرفية، في مبحث علم المعاني الذي يقول الخطيب القزويني فيه في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"⁶، وتتضح مسألة التقابل الإجرائي على مستوى الخبر والإنشاء، فيقول القزويني في ذلك: "الكلام إما خبر أو إنشاء لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج، الأول الخبر والثاني الإنشاء"⁷، ويوضح الخطيب هذه المسألة أكثر بقوله: "والفارق بين الخبر والإنشاء هو قصد المطابقة أو قصد عدمها في الخبر، والإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها"⁸، وقد

³ طالب سيد هاشم الطبطبائي - نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، درط، الكويت، 1994، ص: 120، 121 .

⁴ تقبايث حامدة- قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز، مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو، 2012، ص: 79.

⁵ آمنة لعور - الأفعال الكلامية في سورة الكهف، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2011، ص: 57.

⁶ الخطيب القزويني - الإيضاح في علوم البلاغة، تع: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، (بيروت، لبنان) ط3، 1 الجزء، 1993، ص: 37.

⁷ نفس المرجع، ص: 10.

⁸ الخطيب القزويني - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 56.

ميز اللغويون القدامى "بين الجمل من حيث شدتها وضعفها وما ينتج عنها من معان مختلفة، وهذا ما يقابل مفهوم القوة الإنجازية في عرف التداوليين المعاصرين في الغرب"⁹.

في كتاب محاضرات الأدباء يعقد الراغب بابا سماه (في المدح والذم والاعتياب والتهنئة ونحوها)¹⁰، فمثلا يقول: "(التحذير ممن يتجاوز الحد في مدحك) من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه. وقيل من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية"¹¹، وقوله هذا صحيح بنسبة كبيرة، ذلك أن التجاوز في المدح يفقد الممدوح أن يطابق أو يداني الصفة التي مدح بها، و قول أبي نواس أظهر مثال على ذلك حين يقول:

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

وحينذاك تتحول القوة الإنجازية إلى الذمية باعتبار السياق وتجاوز الحقيقة والمنطق والمعقول بين الناس.

ويقول أيضا: "وكتب بعضهم الجاحد فضلك كمن سمى النهار ليلا والشمس ظلا"¹²

ف فعل كلامي كهذا يفهم من صورته المباشرة مايلي:

جاحد الفضل يشبه شخصا لا يميز ما بين النهار والليل.

إذن : العلاقة هنا غير واضحة على مستوى البنية اللغوية، ولكنها تتضح بتفعيل آلية السياق، فهذا الاستلزام التخاطبي يدعونا أن نتمثل المعنى المقصود من خلال شخص لا يميز ما بين الليل والنهار وماهي صفته؟ من جهة، ومن جهة أخرى أن نتمثل المعنى المقصود من جاحد

⁹ آمنة لعور - الأفعال الكلامية في سورة الكهف، ص: 61.

¹⁰ الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، هذبه: إبراهيم زيدان، مطبعة الهلال الفجالة، مصر، 1902 ص: 148.

¹¹ الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء، مطبعة الهلال الفجالة، ص: 152.

¹² نفس المرجع، ص: 154.

الفضل، فنتحصل على: صفة جاحد تساوي صفة غبي. ولكن لنكن على حذر فهذا حكم لا يصح فنيا إلا في هذا السياق بعينه، أي سياق بيان فضل المتفضل.

وقال أيضا: "قيل لنصيب ألا تهجو فلانا وقد حرمك فقال إنما كان ينبغي أن أهجو نفسي حيث سألته، فقيل: ويحك هجوته بأشد الهجاء"¹³.

تتبدى لنا هنا في هذا الفعل الكلامي المباشر القوة الإنجازية كيف تحولت من بسيطة إلى عظمى، فمن مفترض أن يهجو لبخله، افترض أن يهجو نفسه إذا طمحت في أن تخسر كلمة واحدة في حق هذا الرجل هجاء أو غيره.

ويقول في قسم (التحية والأدعية والتهنئة) في الحث على الجواب:

"روي أن التحية نافلة والجواب فريضة. ويدل على ذلك قوله تعالى: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها"¹⁴، إذن فالفعل الكلامي: السلام عليكم فعل قوي جدا يتجاوز ذلك إلى إحداث فعل فوري وهو رد السلام، ومنشأ ذلك سياق القاعدة التداولية التي تتمثل في الامتثال لأمر الإسلام في التعامل، وهذا بطبيعة الحال فيه قوة إنجازية عظمى.

ويقول في موضع آخر في قضية تحول السلام من كونه على الأحياء فينتقل مقصديا ليكون على الأموات "دخل الحسن بن الكناني على عبد الله بن جعفر فأنشده:

عليك السلام أبا جعفر

فقال: أخطأت، حييتني بتحية الموتى وقد أمكنك أن تقول: سلام عليك أبا جعفر"¹⁵.

¹³ الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء، ص: 156.

¹⁴ الأصفهاني - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تح: عمر الطباع، ج1، دار شركة الأرقم، ط1، بيروت لبنان، 1999، ص: 477.

¹⁵ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، مطبعة الهلال، ص: 162.

فمن المفترض أن يقول السلام عليكم بحسب الرتبة التي عرفت بها، وبحسب ما أثر عن النبي، فقد قال أحدهم: (عليك السلام يا رسول الله ، مرتين ، قال : لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الميت ، قل : السلام عليك) (الرواية عن أبي جري جابر بن سليم).

فهذا أيضا يدخل ضمن القاعدة التداولية السابقة التي تتمثل الانصياع لقاعدة مهمة تتمثل في الإسلام، وأيضا لاحظنا أن القوة الإنجازية تتحول من قوة إلى قوة أخرى مخالفة، بحكم الوجوه في قانون الرتبة النحوي الذي يتيح انتقال المعنى القضوي من فرق إلى فرق آخر.

و قال في (الدعاء بالرحب والسعة):

"قال رجل للأصمعي: مرحبًا وأهلاً وسهلاً! فقال: أرحب الله بلدك وأهل رحلك وسهل أمرك"¹⁶

فالراغب يقول أن هذا يدخل في باب الدعاء بالرحب والسعة، ولكن هل كانت تقال في الترحيب أيضا كحال يومنا هذا؟ فمما روي أن سيف بن ذي يزن ظهر ملكا على الحبشة فأتته الوفود مهنئة ومنها وفد قريش وعلى رأسه عبد المطلب بن هاشم الذي قام وخطب خطاب التهنة.

فسيف بن ذي يزن أول من قالها وقد قالها في سياق (التهنة)، إذ هناهم بقبول ما جاءوا من أجله، ونلاحظ أنها فيما بعد انتقلت إلى سياق (الدعاء) في شاهد الراغب الذي أوردناه، أما الترحيب بالقدوم فهو متضمن في التهنة والدعاء، وليس العكس، ففي حاضرتنا نحن نقولها وفي نيتنا الترحيب وإن تضمنت الدعاء. فالقوة الإنجازية هنا تنتقل من سياق إلى آخر فمن التهنة انتقلت إلى الدعاء ثم انتقلت إلى الترحيب بفعل قولي واحد.

أيضا في قوله: "الدعاء بصبحك الله بخير: كانت العرب تتحيا في الجاهلية بقولهم: صبحك الله بخير فاخر ولحم طير وشراب خازر قبل طلوع الشمس للمسافر"¹⁷، فالتحية كانت بالدعاء بالخير وبالفأل الحسن.

¹⁶ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، دار شركة الأرقم، ج1، ص: 480.

ويقول في "تهنئة بزفاف: زهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقال بالرفاه والبنين، وكان يقول: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير. وهنأ ابن القرية الحجاج فقال: أقر الله عينك ورزقك ودها وولدها، وجعلك الباقي بعدها.

ابن الرومي:

سيدة زفت إلى سيد ... أبدلنا اليسر من العسره

ألف بالتوفيق شملاهما ... في نعمة تمت وفي خيره¹⁸

فالتهنئة قوة إنجازية والدعاء قوة إنجازية أخرى، ففعل القول هنا استعان بقوة إنجازية من أجل قوة أخرى، فقد استعان بالدعاء من أجل التهنئة. وهذه عادة العرب فأغلب ما تهنيء به هو دعاء بخير.

وهناك مثال آخر يورده الراغب في "نم من همته نفسه: لما قال الحطيئة في الزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

شكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر: ما في ذلك هجاء! فقال: يا أمير المؤمنين إنه فدعا حسائاً وسأله فقال عراني عما ابتتيته من المعالي، : ما هجاء ولكنه سلح عليه¹⁹.

فما هو ظاهر من فحوى الخطاب أن هذا أمر بأن يدع المكارم وأمر في أن لا يرحل لبغيتها، وأمر آخر في أن يقعد لأنه مكفول حين يفعل هذا الأمر، ولكن السؤال ما الذي أفضى إليه هذا الأمر؟

¹⁷ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، دار شركة الأرقم، ج1، ص: 482.

¹⁸ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، دار شركة الأرقم، ج1، ص: 485.

¹⁹ نفس المرجع، ص: 524.

هذا الأمر في حقيقته تحول إلى قوة إنجازية تأثيرية كبيرة، جعلت الشاعر الزبرقان يستجد بالخليفة عمر بن الخطاب، وعمر بن الخطاب بدوره لم يعط رأيه النهائي فيه إلا بعد أن حكم حسان بن ثابت الذي بإمكانه أن يعرف المحتوى القسوى الموجود في خطاب الحطيئة للزبرقان لاعتبار قاعدة تداولية عرفية مهمة جدا وهي القاعدة الإبداعية الشعرية.

وعليه يمكن القول أن القوى الإنجازية في كتاب محاضرات الأدباء يغلب عليها فعل الدعاء باعتباره فعلا يصلح للأفعال الإنجازية الأخرى كالمدح والتهنئة وغيرها وهو مهيم على نسبة كبيرة جدا، ويمكن أن نقول أيضا أن لليمين أو القسم دور كبير في صياغة الأحكام في فترة مهمة من فترات الثقافة الإسلامية. وهذا على عمومه كتاب مهم جدا في بيان كثير من الأفعال الكلامية فيه.

إحالات:

1 مهى فهد أبو حمرة- فاعلية برنامج مقترح لتنمية مهارتي الحوار في اللغة العربية لدى غير الناطقين بها، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق سوريا، 2015، ص: 39.

² مسعود صحراوي - التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة ، ط 01 ، بيروت ، 2005، ص: 41 و 42.

³ محمود طلحة- منوال الأصوليين في تحليل الخطاب، منشورات مخبر اللسانيات التداولية و تحليل الخطاب، ط1، الأغواط، 2013، ص: 86 و 87.

⁴ فرانسواز أرمينكو - المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط المغرب، 1986، ص: 62 و 63.

⁵ ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق، جامعة أم القرى ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1423 هـ، ص: 231 .

⁶ طالب سيد هاشم الطبطبائي - نظرية الأفعال الكلامية ين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، درط ، الكويت، 1994، ص: 120 ، 121 .

⁷ تقبايث حامدة- قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز، مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو، 2012، ص: 79.

⁸ طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، ص: 29.

⁹ آمنة لعور- الأفعال الكلامية في سورة الكهف، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2011، ص: 57.

¹⁰ الخطيب القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة، تع: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، (بيروت، لبنان) ط3، 1 الجزء، 1993، ص: 37.

¹¹ نفس المرجع، ص: 10.

¹² الخطيب القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 56.

¹³ آمنة لعور- الأفعال الكلامية في سورة الكهف، ص: 61.

- ¹⁴ الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، هذبه: إبراهيم زيدان، مطبعة الهلال الفجالة، مصر، 1902 ص: 148.
- ¹⁵ الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء، مطبعة الهلال الفجالة، ص: 152.
- ¹⁶ نفس المرجع، ص: 154.
- ¹⁷ الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء، ص: 156.
- ¹⁸ الأصفهاني - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تح: عمر الطباع، ج1، دار شركة الأرقم، ط1، بيروت لبنان، 1999، ص: 477.
- ¹⁹ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، مطبعة الهلال، ص: 162.
- ²⁰ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، دار شركة الأرقم، ج1، ص: 480.
- ²¹ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دلائل النبوة، السفر الثاني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1988، ص: 11.
- ²² الأصفهاني - محاضرات الأدباء، دار شركة الأرقم، ج1، ص: 482.
- ²³ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، دار شركة الأرقم، ج1، ص: 485.
- ²⁴ نفس المرجع، ص: 524.
- ²⁵ البيهقي - السنن الكبرى، 10/ 252، رقم الحديث: 20976.
- ²⁶ سميرة قريع - القسم في معاني القرآن وإعرابه للزجاج دراسة تداولية، مذكرة ماستر، جامعة بسكرة الجزائر، 2016، ص: 69.
- ²⁷ الأصفهاني - محاضرات الأدباء، دار شركة الأرقم، ج1، ص: 563.